

تاج العروس من جواهر القاموس

وقوله تعالى : " وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ " جاء في التفسير : أُخِذُوا من تحت أقدامهم . وقوله تعالى : " وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ " ذكّر قريبا ؛ لأنّ تأنيث الساعة غير حقيقي . وقد يجوز أنّ يُذكّر لأنّ السّاعة في معنَى البعث وقوله تعالى : " واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ " أي : يُنادي بالحشر من مكان قريب وهي الصخرة التي في بيت المقدس ويقال إنها في وسط الأرض . وقوله تعالى : " إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ " ولم يقل : " قَرِيبَةٌ " لأنّه أراد بالرحمة الإحسان ولأنّ ما لا يكون تأنيثه حقيقيا جاز تذكره وقال الزّجاج : إنّما قيل " قَرِيبٌ من المحسنين " لأنّ الرّحمة والغفران والعفو في معنَى واحد وكذلك كلّ تأنيث ليس بحقيقي . قال وقال الأَخفش : جائز أنّ تكون الرّحمة هنا بمعنَى المطر . قال : وقال بعضهم : هذا ذكّر للفصل بين القريب من القرب والقريب من القرابة قال : وهذا غلط ؛ كلّ ما قَرُبَ في مكان أو نَسَب فهو جارٍ على ما يُصيّبه من التذكير والتأنيث .

قال الفرّاء : إذا كان القريب في معنَى المسافة يُذكّر ويؤنّث وإذا كان في معنَى النّسب يؤنّث بلا اختلاف بينهم تقول : هذه المرأة قَرِيبَتِي أي : ذات قرابتي .

قال ابن برّيّ : ذكّر الفرّاء أنّ العرب تُفَرِّق بين القريب من النّسب والقريب من المكان فيقولون : هذه قرابتي من النّسب وهذه قريبي من المكان ؛ ويشهد بصحّة قوله قول امرئ القيس :

" لَهُ الْوَيْلُ إِنَّ أُمِّي وَلَا أُمُّ هَاشِمِ قَرِيبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَةُ ابْنَةٌ

يَشْكُرَا فَذَكَرَ قَرِيبًا وَهُوَ خَيْرٌ عَنْ أُمِّ هَاشِمٍ فَعَلَى هَذَا جَوَزَ قَرِيبٌ مِنِّْي يُرِيدُ قَرِبَ الْمَكَانِ وَقَرِيبَةٌ مِنِّْي يُرِيدُ قَرِبَ النَّسَبِ .

ويقال : إنّ فعيلًا وقد يُحمّل على فعولٍ لأنّّه بمعناه مثل : رحيم ورحوم ؛ وفعول لا تدخله الهاء نحو : امرأة صبورٌ فلذلك قالوا : ريحٌ خريقٌ وكتيبةٌ خصيفٌ وفلانةٌ منّي قريبٌ . وقد قيل : إنّ قَرِيبًا أصله في هذا أنّ يكون صفةً لمكان كقولك : هي منّي قريبا أيّ مكاناً قَرِيبًا ثمّ

اتَّسَعَ فِي الطَّرْفِ فَرُفِعَ وَجُعِلَ خَيْرًا . وفي التَّهْذِيبِ : والقَرِيبُ نَقِيصُ
 البَعِيدِ يكون تحوُّلاً في الذِّكْرِ والأُنْثَى والفَرْدِ والجمعِ كقولك : هو
 قَرِيبٌ وهي قَرِيبٌ وهم قَرِيبٌ وهُنَّ قَرِيبٌ . وعن ابن السِّكِّيتِ تقول العَرَبُ : هو
 قَرِيبٌ مَنْبِيٌّ وهُمَا قَرِيبٌ مَنْبِيٌّ وهُمُ قَرِيبٌ مَنْبِيٌّ وكذلك المؤنَّثُ : هي قَرِيبٌ مَنْبِيٌّ
 وهي بَعِيدٌ مَنْبِيٌّ وهُمَا بَعِيدٌ وهُنَّ بَعِيدٌ مَنْبِيٌّ وقَرِيبٌ فتوحْدٌ قَرِيباً
 وتذكُّرٌه ؛ لأنَّه وإن كان مرفوعاً فإنَّه في تأويلٍ : هو في مكانٍ قَرِيبٍ
 مَنْبِيٍّ . وقال الأبيُّ تَعَالَى : " إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " .
 وقد يَجُوزُ " قَرِيبَةٌ وَبَعِيدَةٌ " بالهاءِ تَنْدِيهاً على : قَرِيبَةٌ وَبَعِيدَةٌ فَمَنْ
 أَزَّيَّنَهَا فِي الْمُؤنَّثِ تَنَدَّى وَجَمَعَ ؛ وَأَنشَدَ :
 لَيْدَالِيَّ وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بِبَعِيدَةٍ ... فَتَسْلِي وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ
 قَرِيبٌ هَذَا كَلِمَةُ كَلَامِ ابْنِ مَنظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْأَزْهَرِيِّ فِي التَّهْذِيبِ وَقَدْ
 نَقَلَهُ شَيْخُنَا بَرُّمُوتَهُ عَنْهُ كَمَا نَقَلْتُ